(راتس وشينوي ومبام)، خاصة في مدن حيفا والقدس وتل ـ أبيب، الامر الذي يشير الى ان الجماهير العلمانية في اسرائيل لم تعد ترى في حزب العمل العنوان الوحيد لتتجه اليه، بل ربّما ارادت، من خلال تأييدها هذه التجمّعات اليسارية، ان تعبّر عن استيائها وغضبها من التحالف التقليدي بين حزب العمل والاحزاب الدينية. ومن جهتها، واصلت الاحزاب الدينية، الصهيونية منها وغير الصهيونية (الاصولية)، احتلال مواقع جديدة على الخارطة السياسية في اسرائيل، بتحقيقها مكاسب هامة في المجالس المحلية والبلدية، خاصة في القدس وتل ـ أبيب وبيتح تكفا، بالاضافة الى معقلها التاريخي في بني براك. ويأتي هذا المسار المتواصل منذ انتخابات الكنيست الثاني عشر، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، انعكاساً للمزاج اليميني والقلق السائد في أوساط الجمهور الاسرائيلي، بالاضافة الى التغيّرات الديمغرافية التي يشهدها التركيب السكاني اليهودي، من خلال تزايد اعداد اليهود الشرقيين الاكثر استجابة للنزعات الاصولية والغيبيات الدينية، واتساع حجم الشرائح الاجتماعية المتوسطة، الصغيرة والدنيا. ومن المتوقع ان تؤدي زيادة قوة الاحزاب الدينية الى رفع وتيرة الاستقطاب وحدّة المواجهة داخل المجتمع الاسرائيلي بين العلمانيين والمتدينين. ويشار، في هذا المجال، الى ما توصّل اليه فريق دراسي في معهد غولده مئير، التابع لجامعة تل ـ أبيب، من ان الخلاف بين المتديّنين والعلمانيين في المجتمع الاسرائيلي هو أساس الازمات السياسية، كما يظهر من خلال الصحف الاسرائيلية. وفي حين ان الصراع العربي ـ الصهيوني يحتل المكان الاول، من حيث حدته وبروزه الصحافي، الاّ انه يأتي في المرتبة الثانية من حيث مركزيته في حياة المجتمع (**دافار**، ١٢/٣/١٩٨٩).

الجانب التنظيمي كانت له حصة الاسد في المعركة الانتخابية. وهنا، أيضاً، كان تفوّق الليكود حاسماً، بحيث ظهرت آلته الحزبية ونشاط اعضائه وانضباطهم، لأول مرة، أفضل من حزب العمل. وكانت الاستعدادات لهذه الانتخابات بدأت قبل سنتين تقريباً، عندما أخذ ارنس يستقطب المرشحين المحتملين من بين العمداء (احتياط) في الجيش الاسرائيلي ممّن يتمتعون بجاذبية شعبية كبيرة. كما جنّد الليكود جميع وزرائه وكبار مسؤوليه في هذه المعركة، بحيث بدا الليكود، اليوم، وكأنه مباي الامس بشهيته الواسعة للسلطة وتصميمه على الاحتفاظ بالحكم (**دافار**، ٣/٣/١٩٨٩). امّا رسالة الليكود الى ناخبيه، فكانت واضحة، وبسيطة، ومتجاوبة مع تطلعات الجماهير السياسية المتصلبة. وتلخّصت الرسالة تلك في التمسّك بمبدأ «أرض ـ اسرائيل الكاملة»، ورفض التعامل مع م.ت.ف. وعدم الاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني.

حزب العمل، في المقابل، خاض المعركة مرتبكاً، مبعثر الصفوف، يفتقد الزعامة الكاريزمية والخط السياسي الواضح. وقال عضو الكنيست ميخائيل بار ـ زوهار، في هذا الصدد: «لقد ادرنا معركة فاشلة بدون أي اهتمام في أوساط الحزب ومع حروب داخلية واختيار مرشحين لم يكن لهم أي احتمال للفوز، وزعامة تجاهلت، تماماً، الانتخابات البلدية» (**هآرتس**، ١/٣/١٩٨٩). وبدا حزب العمل أشبه «بالعملاق الذي فقد قوته»، وفقد معها، أيضاً، طريقه وهويته وبوصلته، وبدأ يتعارك مع ذاته... بدلاً من القتال على مبادئه» (**معاريف**، ٢/٣/١٩٨٩). هذه الحالة «الرمادية»، سياسياً وفكرياً وتنظيمياً، دفعت بحزب العمل الى ارتكاب جميع الاخطاء الممكنة خلال المعركة الانتخابية التي كلّفته غالياً (**يديعوت احرونوت**، ٣/٣/١٩٨٩). ومع غياب خط استراتيجي واضح يلتزم به الحزب بكامله، قيادة واعضاء، بدا أشبه بـ «سوبرماركت ايديولوجي» تتصادم فيه مختلف الصيغ والوصفات السياسية والفكرية (يشعياهو بن ـ بورات، **يديعوت احرونوت**، ٣/٣/١٩٨٩).

وعلى الفور، ارتفعت الاصوات داخل حزب العمل، مطالبة بالاصلاح واعادة ترتيب الاوضاع الداخلية، وقطع الرؤوس، وتبديل القيادة. وبدا ان المعركة على زعامة الحزب بدأت منذ الآن، وأسماء المرشحين تتوالى.

وبدا واضحاً ان الهمّ الذي يسيطر على حزب العمل، حالياً، هو الانتخابات المقبلة للهستدروت، والخوف من مواجهة فشل في المجالس العمالية يكون تكراراً للفشل في مجالس السلطات المحلية.